# الجليل

الاسم هو الجليل ، أكثر الإخوة المؤمنين ؛ إذا قالوا الله ، قالوا بعدها جل جلاله . وذلك من أدب المؤمنين مع ربّهم وسلامة فطرتهم ، وفي اللغة : جَلَّ يَجِلُّ أيْ عظم قدره ؛ والجليل من له الجلالة والعِزّ والغنى والنزاهة ، والجليل : هو العظيم الذي يتنزه عما لا يليق به . والجليل : كاشف للقلوب عن أوصاف جلاله فقد يكشف قلب المؤمن بِإذن الله عن بعض أوصاف جلال الله ، فهو سبحانه يكشف للقلوب المنيبة بعض أوصاف جلاله ، ويكشف للأسرار بعض نعوت جماله . وكل ما في العالم من جلال وكمال وحسنٍ وبهاء ؛ فهو من أنوار ذاته ، وآثار صِفاته . كلمة جلّ جلاله : أيْ عظم قدره وتنزّه عما لا يليق به .

وقال بعض العلماء : « الجليل : هو المستَحِق للأمر والنهي ، فهو وحده الذي يأمر وينهى ، هو الذي يُشرِّع . والجليل : هو الذي يصغُر دونه كل جليل ، ويتّضِعُ معه كل رفيع .

وقيل : الجليل الذي جلّ قدره في قلب العارف بالله . الجليل : هو الذي جلّ قدره في قلوب العارفين فلو شققتَ على قلب المؤمن

لرأيت فيه تعظيماً لله لا حدود له وخشيةً لله لا حدود لها ولقد عظم خطره في قلوب المحبين يعني :

لو قال تِيهاً قف على جمر الغضا لـوقفـتُ ممتَثِـلاً ولـم أتـوقـفِ
أو كان من يرضى بِخَدِّيَ مَوطِئاً لَـوَضَعْتـهُ أرضـاً ولـم أسْتنكـف

هذا إذا كان إنسانٌ يحب مخلوقاً ، فكيف إذا كان المحب محباً لله عز وجل ؟ قال العلماء : هو الذي جلّ قدره في قلوب العارفين ، وعظم خطره في نفوس المحبين ، الجليل هو المستحق للأمر والنهي الذي يصغر دونه كل جليل ، ويتَّضع معه كل رفيع ، كاشف الأسرار بِنعوت جماله .

والجليل هو الذي جل في علوّ صفاته ، وتعذّر بِكِبرِيائه أن يُعرَف كمال جلاله ؛ فَعَظَمته أعظم من أن تُعرف ، أو أن يُحاط بها . أحياناً تلتَقي بِإنسان عِدّة لِقاءات فتكشِف بها كل جوانبه ، وتسْتَوعِب كل إمكاناته لكن لا يمكن لِمخلوقٍ أن يحيط بِقدْر الله عز وجل . ولقد تحدّث بعض الأئمة عن الفرق بين الجليل ، والكبير ، والعظيم .

فذَكر العلماء « أن الجليل : هو الموصوف بِنُعوت الجلال ونعوت الجلال : الغِنى ، والمُلك ، والتقديس ، والعلم ، والقدرة » ، فهُناك بعض الصِّفات تُحدِث في النفس تعظيماً . الجليل : هو الموصوف بِنعوت الجلال ، والجامع لِصفاتها جميعها ، وهو الجليل المطلق ، والجليل المطلق هو الله تعالى . والكبير : هو الذي يرجع في صفاته إلى كمال الذات . فهناك كمال للذات وكمال للصفات ، مجموع الصفات التي ترتبط بِكمال الذات : الكبير . ومجموع الصفات التي تتعلق بِكمال الصفات : الجليل . وأما العظيم : فهو الذي جمع

صفات كمال الذات ، وصفات كمال الأفعال .

إنّ الإنسان حينما يذكر الله سبحانه وتعالى يحب أن يُعَبِّر عن تعظيمه له ، فكان هذا الاسم جل جلاله حيث ما ذُكِر اسم الله العَلَم على الذات ، يُذكر بعد اسم الذات ، أي يقول المؤمن بعد اسم العَلم على الذات كلمة الجليل أو كلمة جلّ جلاله .

حينما يُدْرِك الإنسان الصِّفات الظاهرة بِعَيْنِه فهذا هو البصر ؛ بِبَصَرك تدرك الجمال الظاهر ، وبِبَصيرتك تُدْرك الجمال الباطن . أحياناً تستمتِع بفِعلٍ كامل ؛ هو في حدِّ ذاته جميل والجمال ليس متعلِّقاً بِالنواحي المادِّية فَحَسْب ، بل قد يمتدّ إلى النواحي المعنوية ، فالمَوقِف الكامل ، هو من زاوية موقِفٌ كاملٌ ومن زاوية أخرى هو موقِفٌ جميل . تقول : فُلان يتمتَّع بِجمال الخُلق . لذلك قال بعض العلماء : إن صِفات الحق أقسام ؛ صِفات الجلال وهي العظمة والعِزّة والكِبرياء والتقديس ، وكلها ترجِع إلى معنى الجليل ، وصِفات الجمال ؛ وهي صِفات اللُّطف والكرم والحنان والعَفْو والإحسان ؛ وهذه هي صِفات الجمال .

إذا اجتمعت ببعض من ذهبوا لأداء فريضة الحج يقولون لك : كنت وأنا في مكة المكرَّمة أشعُر بِالجلال ، فإذا ذهبت إلى المدينة المنوَّرة أشعر بِالجمال ، فهناك صِفات الجلال ، وصِفات الكمال . صِفات الجلال ؛ صِفات العظمة والعِزّة والكِبرياء والتقديس ، كلها ترجع إلى معنى الجليل . وصِفات الجمال ؛ هي صفات اللُّطف ، والكرم ، والحنان ، والعَفْو ، والإحسان ، وكلها ترجع إلى معنى الجميل .

يقول بعض العلماء : صِفات الكمال هي الأوصاف الذاتية التي دونها جميع العقول والأرواح ، مثل اسمه القدوس ، وصِفات ظاهرها جمال وباطِنها جلال مثل اسم المُعطي المُنعم ، وصِفات ظاهرها جلال وباطِنها جمال مثل اسم النافع والضار ، سأُوَضّح هذا بِالتفصيل :

إن الإنسان إذا أخذ من عطاء الله ولم يستَقِم على أمر الله ، ولم يُوَظِّف هذا العطاء في الحق فوراء هذا جلال ، أي قد يكون هناك عِقاب ، أو شيء يدعو إلى الخوف . وهناك صِفات ظاهرها جلال ، وباطِنها جمال ؛ أحياناً يوقع ربنا الضَّرر بإنسان لكن هذا الضرر ينتهي به إلى التوبة ، والإقبال على الله . فالله سبحانه وتعالى له صِفات جلال ، وله صِفات جمال ، وله صِفات ظاهرها جلال وباطِنها جمال ، فإذا أعطاك فهذا شيء جميل ، لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء استِقامة سيكون بعد هذا العطاء تأديب . فيأتي الجمال أولاً والجلال ثانياً . أما إذا جاء التأديب فالإنسان يخاف ، ويشعر بِالرهبة ، وأنّ الله تعالى كبير ، وأنه ينبغي أن يُرْهَب جانِبه ، وبعد هذه الرهبة يأتي الجمال .

لذلك قالوا : حينما نقول الضار النافع ، والمعطي المانع ، والخافض الرافع ، والمعز المذل ؛ هذه الأسماء ينبغي أن تُذكر معاً لأن الله سبحانه وتعالى لا يضر إلا لِيَنْفع ، ولا يأخذ إلا لِيُعطي كما كان الإمام الثوري يقول : « **إن هذه الدنيا دار اِلْتِواء لا دار استِواء ، ومنزل تَرَح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لِرخاء ولم يحزن لِشقاء ، قد جعلها دار بلوى ، وجعل الآخرةَ دارَ عقبى ، فجعل بلاء**

**الدنيا لِعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بَلْوى الدنيا عِوَضاً فَيأخذ لِيُعطي ، ويبتَلي لِيَجزي »** .

يجب أن تعتقد كما ورد في القرآن الكريم أن أسماء الله تعالى كلها حُسنى ، حتى اسم الجبّار ، القهار المنتقم هي أسماء لله حُسنى ، لو عرفْت حقيقتها لَذابت نفسك محبَّة لله عز وجل لكن هناك أسماء متعلِّقة بالجلال وأخرى بِالجمال ، وهناك أسماء ظاهرها جلال وباطِنها جمال ، وله أسماء ظاهرها جمال وباطِنها جلال والعكس .

يقول بعض العلماء : « **الجليل هو المستحق لأوصاف العُلُوِّ والرِّفعة .** » ويقول بعض العلماء : « **واعْلَم أنه تعالى يُكاشِف القلوب مرَّةً بِوَصف جلاله** » فَأحْياناً يشعر الإنسان بِحالٍ طيِّبة وسُرور وانْطِلاق وبِفَرْحة ؛ فالله جل جلاله يتجلّى عليه باسم الجميل . وأحياناً يشعر بالخوف والقلق على مصيره هل له عند الله المكانة التي يتمناها ؟ وهل عملُه كما يُرضي الله عز وجل ؟ وهل نياته على النحو الذي يرضى الله عنه ؟ .

أحياناً يقع الإنسان في موقف أقرب إلى الخَشْية منه إلى الطُّمأنينة ، فإذا تجلى الله على الإنسان بِاسم **الجليل** امتلأ القلب خَشْيَةً . وإذا تجلى الله على عبده باسم الجميل امتلأ القلب فرحةً ، وربنا عز وجل يُقَلِّب هذا القلب البشري بين الخشية والطُّمأنينة ، إن ازدادت طمأنينته يُخيفُه ، وإن ازداد خوفه يُطَمْئنه ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١] .

هناك منهج وكِتاب مبارك وسنة وهناك آيات تدل على عظمة الله ،

كل هذا شيء طبيعي ، ولكن لولا أن الله يتولى بِمُعالجة القلب باستمرار لما زكا من عباده من أحدٍ أبداً قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

كل إنسان قريب من الله ، يدرك أنه إذا بدرت منه . كلمة تدل على اعتِداد بِالنفس فبعدها تأديب الله تعالى ، وإذا بدرت منه كلمة تدل على افتِقار إلى الله فبعدها عطاء ، فالمُفتَقِر إلى الله يَنْعُم باسم الجميل . وبعض الصحابة قالوا : لن نُغلب من قِلَّة قال تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [ التوبة : ٢٥] .

فعلى الإنسان أن يُراقب قلبه ، فليس الإنسان عقْلاً وحده ، ولا قلباً وحده ، فالعقل غِذاؤه العلم ، والقلب غِذاؤه الذِّكر والحب ، فَالإنسان إذا شعر أن قناعاته قويّة ، واطمِئنانه بالله زاد على الحد المعقول فإن الله جل جلاله يتجلى باسمه الجليل فَيَخاف وحينما يزداد خوفه إلى درجة قد يُقْعِده الخوف عن متابعة الطريق ، يتجلى الله عليه باسم الجميل . وما سُمِّيَ الحال حالاً إلا لأنه يحول ويزول والإنسان يتقلب في الحال الواحد كما قال بعضهم : المنافق يثبت على حالٍ واحدة أربعين عاماً ، على حين أن المؤمن من شدَّة خشيته ، وشدة حِرصِه ، على طاعة ربه ، وقَلَقِه على مصيره عند ربه ، يتقلب في اليوم الواحد أربعين حالاً .

مُلَخّص هذا الكلام ؛ أن هناك صِفات لله عزّ وجل ترجع إلى العظمة والقوة والقداسة والغِنى ؛ هذه الصفات يجمعها اسم الجليل .

وهناك صِفات كالرحمة والإحسان واللُّطف والعفوِ والكَرَم ؛ فَهَذه الصفات يجمعها اسم الجميل . والإنسان بين جمال الله وبين جلاله . بين الخوف والترقب ، وبين الطمأنينة والبِشر ، وعلى الإنسان أن يتأدب مع الله عز وجل ، لا يحمله حاله مع الله على أن يتساهل لا بِأقواله ولا بِأفعاله ، وينبغي ألا يحمله اسم الجليل الذي يرهبُه على أن يتراجع أو ينكمش ويقنط ، فالبُطولة أن تجمع بين الخوف والرجاء .

قال بعض العلماء : « **اسم الجليل يُحْتَمَل أن يكون بِمعنى المُفْعِل** ؛ الجليل : **الذي يجل المؤمنين ويُكَرِّمهم . فالمؤمن مُكَرّم ، أحياناً تجد إنساناً مُهاناً معذّباً خنوعاً ذليلاً يُحْوِجه الله إلى أتعسِ خلقه وأشقاهم ، ألم يقل الإمام علي كرّم الله وجهه** : « **والله والله مرتين لَحَفْرُ** بئرين **بِإبْرَتين ، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصِفٍ بريشَتَين ، ونقل بحرين زاخِرين بِمِنخَلين ، وغسْل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون عليَّ من طلب حاجة من لئيم لِوَفاء دَين** » .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

لقلعُ ضِرسٍ وَضَربُ حَبسٍ　　وَنَزعُ نَفسٍ وَرَدُّ أَمسِ
وَقَرُّ بَردٍ وَقَودُ فَردٍ　　وَدَبغُ جِلدٍ بِغَيرِ شَمسِ
وَأَكلُ ضَبٍّ وَصَيدُ دُبٍّ　　وَصَرفُ حَبٍّ بِأَرضِ خَرسِ
وَنَفخُ نارٍ وَحَملُ عارٍ　　وَبَيعُ دارٍ بِرُبعِ فِلسِ
وَبَيعُ خُفٍّ وَعَدمُ إِلفٍ　　وَضَربُ إِلفٍ بِحَبلِ قَلسِ
أَهوَنُ مِن وَقفَةِ الحُرِّ　　يَرجو نَوالاً بِبابِ نَحسِ

فالله عز وجل قد يُحْوِجِ الإنسان أحياناً لِعَبْد لئيم فيردّه ويقنطه هذا اللئيم ليعرف إحسان ربّه إليه . « **سُئِل الإمام علي كرّم الله وجهه : ما الذلّ ؟ قال : أن يقف الكريم بِباب اللئيم ثم يردّه** » فالله اسمه الجليل . أي يُجِل المؤمن على أن يُحْوِجه إلى لَئيم ألم يقل الله عز وجل :

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٤١] .

هؤلاء الأشخاص الشريرون ، هؤلاء عِصيٌّ بيد الله عز وجل يسلِّطهم على من يشاء من عِباده ، والآية الكريمة :

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٥-٥٦] .

لذلك قلت مرة : هؤلاء الذين يُذَلون ويُسْحَقون ، ويسوق الله لهم من الشدائد ما لا يطيقون ، هم في الغالب هان أمر الله عليهم ، فَهانوا على الله . وإذا أردت أن تعرف ما لك عند الله ، فانظر ما لله عندك ، هل أمر الله عندك عظيم ؟

حدثني أخ كان في بلدٍ من البلدان الأوروبية الشرقية ، وخرج من الفندق لِيَلْتَحق بالمطار الساعة الثانية بعد منتصف الليل وكان الفصل شتاءً قارساً ، والثلج يزيد على مترين ، الشيء الذي لا يصدق أنه رأى رتْلاً من الأشخاص يزيد طوله على خمسمئة متر وكان هؤلاء واقفين ينتظرون أن يُوَزّع عليهم اللحم غداً الساعة الثامنة ؛ من الساعة الثانية ليلاً إلى الساعة الثامنة صباحًا وكل هذا من أجل أن يأخذوا قطعة لحم صغيرة يأكلونها مع أسَرِهم ، فأحياناً تجد إنساناً مقهوراً ومعذّباً ومُهاناً وذليلاً ومصيره بِيَد عدوٍّ له ويتفنَّن بِإيقاع الأذى بِه . فماذا نقول ؟

نقول : الله جليل : أي يجل المؤمن من أن يُذيقه هذا العذاب ، ومن أن يُحوِجه إلى لَئيم ؛ ومن دعاء عليٍّ رضي الله عنه في هذا المقام :

« اللهم صُن وُجوهنا باليسار ولا تبذِلها بِالإقتار ، فَنَسْأل شر خلقِك ، ونُبْتلى بِحَمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم وليّ العطاء ، وبِيَدك وحدك خزائن الأرض والسماء » .

فأوّل معنى من المعنى اللغوي لاسم الجليل : هو المُفْعِل : أي يُجِلّ المؤمن عن أن يُذِلَّه ، أو عن أن يقهره وعن أن يُحْوِجه إلى لئيم ، فالله جليل وإذا كنت مع الله فَلَكَ العِزّ ، ولك الكرامة لأنه يُجِلّ المؤمنين ويعظمهم ويكرمهم ، وأرجو الله أن أوضِّح للقراء الكرام هذه الحقيقة ، المؤمن غالٍ على الله وليس بِهَيِّن ، وحياته مقدّسة ، وعمله مقدّس ، وحركاته وسكناته في حِفظ الله ويكفينا قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وهذه المعيّة الخاصة التي تعني : النصر والتأييد والحِفظ والتوفيق . بِصراحَة : فللمؤمن خصوصية من الله عز وجل ؛ وَمِن كمال تربيته أن يجعل للمؤمن خصوصية ؛ وهي خصوصية النصر والتأييد والنصر والحِفظ والطمأنينة ، قال تعالى :

﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨١ـ ٨٢] .

النبي عليه الصلاة والسلام في مرضِه أعطيَ دواء ذات الجنب فقال : « **كنتم ترون أن الله كان يسلط عليّ ذات الجنب ؟ ما كان الله**

**ليجعل لها عليَّ سلطاناً** » ، وهذا من إحسان الظنّ بربّه ، فالمؤمن لا يتألى على الله ولكنه يُحسن الظن بالله . والتألي على الله موضوع آخر . مثلاً هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله ، فهذا تألٍ على الله . أن تقول فُلان مصيره إلى الجنة من غير العشرة المبشّرين هذا تألٍ على الله . نحن نرجو له الجنة . فأكبر إنسان ليس ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة . نقول : نرجو له الجنة . فالرجاء هو الأدب . أما أن تقول : هو في الجنة ، أو هو في النار ، فَمن أنت ؟ أنت عبد والتألي على الله ليس من خلق المؤمن ، ولكن من أخلاق المؤمن أن يدعُوَ لإخوانه بالمغفرة ، والجنة . قبل أن ننتقل من هذه الصفة بِمعنى المُفْعِل ، الجليل بِمعنى المُجِلّ أي : يُجِلّ المؤمن ، ويرفع مقامه نقف عند قول الله بحقّ نبيّه ﷺ ، ألم يقل الله عز وجل :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] .

فالله يرفع اسم المؤمن عالِياً . المؤمن متألّق . وكل حظوظ النفس حِيادِية ، فَلَكَ أن ترتفِع بالباطل ، والقهر ، وبالقوة ، والاستِعلاء ، والغِنى ، ولك أن ترتفع بالكمال ، كلاهما رِفْعَة ، ولكن رِفعة الدنيا آيلة إلى زوال ، ولكن رِفعة الكمال إلى استِمرار . فالقوي مرهوب الجانب ، ويخافه الناس لكنه يخافونه مادام حياً ، أما إذا مات فإن اللعَنات تأتيه من كل جانب إذا كان يُؤذي العِباد . مثلا تجد معلِّماً قاسياً جداً . طلاب الصف كلهم يخافونه طوال السنة الدراسية ، أما حينما ينتهي العام الدراسي ، وينصرف الطلاب فإنهم يسخرون منه . قال الحكماء : الأقوِياء ملكوا الرِّقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب . وأنت بِقوتك تملك رِقاب الناس ، ولكن بِكمالك تملك قلوبهم . مُلك الرِّقاب يزول ، ولكن ملك القلوب لا يزول . أوضح مثل أن

تذهب إلى المدينة المنورة ، وانظر هؤلاء الناس الذين جاؤوا من كل حدب وصوب ، يقفون أمام رسول الله ﷺ بكل أدبٍ وحُبٍّ وبكاء وما عرفوه وما رأوه وما نالوا من عطاء الدنيا منه شيئاً .

فَلِذلك الأنبياء ملكوا القلوب وملكوها مُلْكاً مستَمِراً . والأقوياء ملكوا الرِّقاب وملكوها زمناً مؤقتاً ، فَبِهذا الاسم يشعر الإنسان بالطمأنينة قال تعالى :

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٥ـ٥٦] .

قال العلماء : والجليل : بِمعنى المَفْعول ، كيف أنه مفعول ؟ أيْ ينبغي أن يَعْتَرف العاقل بِجلاله ، وكِبريائه ، وعظمته وقدسيَّته ، وتنزهه عن كل ما لا يليق به ، فالعاقِل يجب أن يقول جلَّ جلاله ، وعزَّ نواله ، بِمعنى المفعول أي المجلّ المعزّ .

وهناك معنى ثالث في اللغة : بِمعنى فَاعِل ، الجليل أيْ هو الموصوف بِالجلال ، فَإما أنه موصوف بِالجلال فهو فاعل ، أو يجب أن يُجَل فهو المفعول ، أو بِمعنى مُفْعِل يُجِلّ المؤمنين ، ويرفع قدرهم ، والله عز وجل إذا أحب عبداً ألقى محبَّته في قلوب الخلق .

يُنادى له في الكون أَنَّا نحِبُّه فَيَسْمع من في الكون أمر مُحِبِّنا ولتعلمْ يقينًا أنه إذا أحبَّك الله جل جلاله ، سَخَّر عدوَّك اللدود لِخِدمتِك . وإذا غضِب الله على إنسان ، أَلْهَم أقرب الناس إليه بِالتَّنَكُّرِ له . زوجته تتنكَّر له وابنه الذي من صُلْبِه قد يضربه . إذا أحب الله عبداً ، ألقى حبَّه في قلوب الخلق . والإنسان لا يُعَلِّق أمله لا بِزوجتِه ولا بِوَلَده ولا بِمخلوق ، لو كنت متخِذاً من العِباد خليلاً لكان أبو بكرِ

خليلي ؛ ولكن أخ ، وصاحب في الله . وهذا هو التوحيد ، أحياناً تجد أباً يُعَلِّق كل آماله بِابنه ، ثمّ لا يكون من هذا الابن إلا أن يذهب إلى بلدٍ أجنبي وينال جنسية ذلك البلد ، ويتزوّج بِأجنبِيّة ، ويقطع علاقته بوالِدِه ، وقد يُغَيِّر دينه ، وقد لا يستقبل أباه إن زاره ، لذلك على الإنسان أن يعلِّق كامل ثقته بالله .

اسم الجليل لم يرِد في القرآن الكريم ، لكن مادته وردت ، قال تعالى في سورة الرحمن :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ـ٢٧] .

طبْعاً يبقى وجه الله ويفنى ما سواه ؛ الوجه من الذات إذاً هو سبحانه ذو الجلال والإكرام ، وكذلك ورد في خِتام السورة في آخر آية منها :

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

أكرّر ؛ لم يرد اسم الجليل في القرآن الكريم إطلاقاً ، وإنما وردت مادته في سورة الرحمن في أولها وفي خِتامها .

هل يُقال لِفُلان جليل القَدْر ؟ نعم لا يمنع أن نقول هذا وتقول : فلان له قدر جليل وفلان جليل القدر ، قال العلماء : يُقال هذا لمن حسُنت صفاته الباطِنة التي تستَلِذها القلوب أما الصفات الظاهرة فهي أقل قدراً ، فمن حسنت صِفاته الباطنة ؛ تجد هناك أدباً ، وحِلماً ، ورحمةً ، وإنصافاً ، وتواضعاً ، وغيرةً ، ومؤاثرةً ، يمكن أن نصفه بأنه جليل القدر .

في الأثر : تخلَّقوا بِكمالات الله ، فالله عز وجل جليل ، فإذا كنت مستقيماً وترفَّعت عن النقائص ، وعن اللغو ، وعن كثرة المزاح ،

وعن سفساف الأمور صِرت في نظر الناس جليلاً ، يقولون : الأستاذ الجليل كما يُقال ، وكذلك الأخ الكريم . فالإنسان حينما يترفع عن السفساف ، وصغائر الأمور وعن الدنيا الدنية وعن حظوظهِ الدنيوية ، وعن القيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وعن الجزئيات . وعن إضاعة الوقت ؛ مِثل هذا الإنسان له قدر عند الناس جليل ، فَمِن باب تخلقوا بكمالات الله يمكن أن تكون كاملاً ، والكمال يجلب لك مكانة عند الله وعند الناس .

الإمام الرازي يقول : « **الجليل من العباد من خلا من العقائد الزائغة الأخلاق والذميمة** » فَعَقَائده صحيحة ، وأخلاقة كاملة . فإذا أُصيب بخلل بِعقيدته لم يصبِح جليلاً ، وإذا كان هناك انحِراف بِسلوكه لم يصبح جليلاً كذلك ، فاستِقامة العقيدة مع استِقامة السلوك ، تجعل الإنسان جليل القدرِ . الحقيقة عندما يكون الإنسان سخيفاً وخفيفاً وثرثاراً ويَحْشُر أنفه في موضوعات لا تعنيه ليس له قدر عند الناس إطلاقاً . أما إذا كان هناك وقار ، واستِقامة ، وضبط لللسان ، والجوارح ، واعتِناء بِمظهره ، ودقة بِعَمَلِه ، هذه الصفات الكاملة ترفع قدره ، وتجعله جليلاً في نظر الناس . إذاً براءة الإنسان من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة تجعله جليلاً . واتِّصافه بِالمعارف الحقّة ، والأخلاق الفاضلة تجعله جليلاً .

ومن بعْدُ فها نحن أمام أدب المؤمن مع **الجليل** : فعليه أن يتحلى بِالكمال لأن الله عز وجل كامل ويحب الكامل ، وهو عفُوّ ويحِب العفو ، وكريم يحب الكريم ، فإذا أردت أن تقترب من الله عزّ وجل ، فاقترِب من صِفاته وأسمائه وتذكر أنه هو الذي أفاض عليك الجمال ، سواء أكان جمال صورة ، أم جمال حِسّ ، أم جمال نفس . والإنسان

إذا حدّثته نفسه بِما لا يليق بالله عز وجل ، وَوَسْوَس له الشيطان شيئاً ، فَلْيَذكُر اسم الجليل . ويجب أن تستحيي من الجليل وأن تستحيي من الله حق الحياء ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : استحيوا من الله حق الحياء قال : قلنا : يانبي الله! إنا لنستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن **الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء .**

ومن لم يكن له ورَعٌ يصدّه عن معصية الله إذا خلا ، لم يعْبَأ الله بِشيءِ من عمله ، وركعتان من ورِع خير من ألف ركعة من مُخلِّط ، ولا تجعل الله عز وجل أهْوَن الناظرين إليك .

فإذا كان الإنسان يستحي من الضيف ، ويضبط كلامه ، وصوته معتدل ، ويرتدي لِباساً جميلاً ، وبيته مُرَتّب ، فعليه ألا يجعل الله عز وجل أهْوَن الناظرين إليه ، فإذا كان الإنسان بِخَلْوة فلا يتكلم بِكلام غير لائق ، ولا يتبذل إلى درجة غير معقولة بِثِيابِه ، ولا يعمل أعمالاً لا تُرضي الله! فَمِن أدب المؤمن مع اسم الجليل ؛ أن يُوَقِّر الجليل في خلوته ، والمؤمن الصادق يشعر دائماً أن الله معه ، وقد ورد في بعض الأحاديث :

**مَا الإِحْسَانُ قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ اكَ . . » .**

القارىء الكريم : لا يستطيع الإنسان في عُجالَةٍ أن يتحدّث عن الا بالقدر الذي سمح الله به لِقوله تعالى :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

لكن ملخص الملخص : أن هناك مجموعة من صفات الله عز وجل ، تتعلق بِعظمته ، وقوته ، وعِلمه ، وقدرته ، وغِناه ، وقدسيّته ، وهذه المجموعة من الصِّفات ، مجتمعة في اسم الجليل . ومجموعة أخرى متعلِّقة بِرَحمته ، وإحسانه ، ولطفه ، وبِرّه ، وعفوِه ، وعطفِه ؛ وهذه متعلِّقة باسم الجميل . وإذا قلنا إن الله جميل : أي أن البصائر تُدرك جماله . والإنسان إذا كان مع الله ، فالله يُجِلّه ، ويُعْلي قدره ، ويرْبَأُ به أن يضعه في الوُحول ، أو أن يُحْوِجه إلى عبدٍ لئيم ، فأنت مع الجليل ، جليل . وأنت مع القوي قوي .

وقد ورد في بعض الأدعية : إلهي كيف نُضام في سلطانك ؟! وكيف نذِلّ في عِزِّك ؟! وكيف نفتقر في غِناك ؟! فحُسن ظنّنا بالله يجعلنا لا نفتقر في غِناك ، ولا نذِل في عِزّك ، ولا نُضام في سلطانك .

وكخلاصة موجزة : الجليل بمعنى المُفْعِل الذي يُجِل . وبِمعنى المفعول الذي ينبغي أن يُجَلّ ، وبِمعنى الفاعل وهو الجليل .

أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن تكون هذه الأبحاث ـ أبحاث أسماء الله الحسنى ـ مُنطَلَقاً لنا للإقبال على الله وللاتصال به ، والسعي إلى مرضاته لأن معرفة الله لا يعلو عليها شيء في الحياة ، والمعرفة أصل الدين ، ولقد ذكرت من قبل أن الإنسان إذا عرف الله ، تفانى في طاعته . أما إذا لم يعرِفه وعرف أمره ، تفنَّنَ في التفلُّت من أمره وبين

التفاني والتفنن بَوْن شاسع ، إذا عرفته تتفانى في طاعته ، وإذا لم تعرفه ، تتَفَنَّن في التفلّت من أمره .

* * *